



خطبة صلاة الجمعة 4 / 5 / 2018 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (عادات الكرام في رمضان)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]

قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21]

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 148]

أخرج الطبراني وغيره في المعجم الكبير عن عبادة بن الصامت «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً وحضر رمضان: «أناكم رمضان، شهر بركة يغنيكم الله فيه، فينزل الرحمة ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل».

عنوان خطبة اليوم: عادات الكرام في رمضان

## أيها الإخوة:

مع دخول النصف الثاني من شعبان؛ تتطلع الأفئدة إلى نفحات رمضان وتشتاق الأرواح إلى أنواره ونحن القلوب إلى تجلياته.

نحفو إلى ركعات التراويح في ليلائه، تجمعنا قائمين وراكعين وساجدين لله رب العالمين، وتؤلف بيننا ونحن منها منصرفين، يبتسم الأخ لأخيه ويطمئن الجار على جاره.

نرنو إلى خيوط الشمس الأولى ونحن خارجون من بيوت الله زرافات ووحداً قد صلينا الفجر ثم تحلقنا للذكر أو العلم ثم صلينا ركعات الضحى.

نحن إلى تفطير الصائمين والإحسان إلى المساكين وجبر المكسورين.

نعد العدة لبر الخلق في أيامه، وللتقرب إلى الخالق في كل لحظة من لحظاته.

فأحببت في خطبة اليوم أن أسرد لكم شيئاً قليلاً يسمح به المقام من كثير، في عادات الكرام في شهر رمضان لنشجذ الهمم وننافس أهل الكرام، والتشبه بالكرام فلاح.

أما رأس الكرام وأكرم خلق الله على الله وعلى العباد فرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

فقد كان الجود من عادته صلى الله عليه وسلم في الأيام كلها؛ لكنه كان في رمضان أجود بالخير من الريح، يعطي فلا يمسك ويعم ولا يخصص.

وكان من عادته صلى الله عليه وسلم في رمضان أن يشتغل بالقرآن كما سمعتم يلقاه جبريل في كل ليلة فيدارسه فيه فلما كان آخر رمضان صامه صلى الله عليه وسلم وقبض بعده عارضه جبريل بالقرآن مرتين. أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان يعرض - أي جبريل - على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه».

وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يعتكف كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين. كما أخرج ذلك البخاري عن أبي هريرة.

وتروى عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشرُ الآخر من رمضان أحبى الليل، وأيقظَ أهله، وجدَّ، وشَدَّ المِئزرَ». و «كان صلى الله عليه وسلم يجتهدُ في رمضان ما لا يجتهدُ في غيره، وفي العشرِ الآخرِ منه ما لا يجتهد في غيره».

يُصلي في قيام رمضان ثمان ركعات فلا تسَل عن طولهن وحسنهن، روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يُصلي أربعاً، فلا تسأل عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثم يصلي أربعاً لا تسأل عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثم يُصلي ثلاثاً. وروى الإمام مالك في موطئه عن يزيد بن رومان: قال: «كان الناس يقومون في زمن عمر في رمضان بثلاث وعشرين ركعة».

وجاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كرام كثيرون يهتدون بهديه ويستنون بسنته في شد الهَم للإقبال على الله تعالى في رمضان.

روى الإمام الذهبي في ترجمة حماد بن أبي سليمان الكوفي قال: كان حماد ذا دنيا متسعة، وكان يفطر في شهر رمضان خمس مائة إنسان، وكان يعطيهم بعد العيد لكل واحد مائة درهم. وقال مرة: كان يفطر كل يوم في رمضان خمسين إنساناً، فإذا كان ليلة الفطر، كساهم ثوباً ثوباً. وعن الصلت بن بسطام، عن أبيه، قال: كان حماد بن أبي سليمان يزورني، فيقيم عندي سائر نهاره، فإذا أراد أن ينصرف، قال: انظر الذي تحت الوسادة، فمرهم ينتفعون به فأجد الدراهم الكثيرة. وترجموا في طبقات الحنفية للعالمية فاطمة بنت محمد بن السمرقندي زوجة الإمام علاء الدين الكاساني صاحب بدائع الصنائع، قالوا: تفقّهت على أبيها وكان زوجها الكاساني ربماً يهَم في الفتيا فتَرَدُّه إلى الصَّواب وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها. وكان يحترمها ويكرمها.

قال داود بن علي أحد فقهاء حلب: هي التي سنّت الفطر في رمضان للفقهاء، كان في يديها سواران فأخرجتهما وباعتهما وعملت بالثمن الفطور كل ليلة واستمر على ذلك بعدها أزيد من مائة عام.

وذكر أهل الشام عن الشيخ سليم المسوتي رحمه الله، الذي كان من كبار المشايخ المعلمين الصالحين كان يوماً في رمضان وكان مجلسه قريباً من باب الدار، وكانت مائدة الإفطار قد أُعدّت ودنا المغرب، فقرع الباب فقير يسأل ويقسم أن أهله في البيت صيام وليس عندهم شيء يؤكل، فتلقّت فلم يجد حوله أحداً من أهله، فتناول طبقاً وبعض الخبز فوضعها جانباً وقال له: احمل هذا كله. فحمله فذهب به،

ودخل النساء فلم يجدن الطعام، فسخطن وصحن عليه وتكلمن كلاماً شديداً، وهو صامت. وضرب المدفع وأذن المؤذن من جامع التوبة، فإذا الباب يُقرع، وإذا بألوان الطعام من الحارّ والبارد والحلو والحامض تدخل عليه! وإذا القصّة أن سعيد باشا شمدين، أحد كبار الوجهاء، كان قد دعا ضيوفاً فلم يحضروا، فأمر بحمل الطعام كله إلى دار الشيخ. فقال: رأيتم مكافأة الصدقة؟ هذا شيء من عادات الكرام في رمضان في إكرام الخلق ومد يد العون لهم. أما عاداتهم في قراءة القرآن والاشتغال به في رمضان فأمر عجيب. فقد روت كتب التراجم أن مسروقاً التابعي المفسر كان يؤمّننا في رمضان فيقرأ العنكبوت في ركعة. وسورة العنكبوت ثمان صحائف.

وروت عن الإمام ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق كَانَ مُوَاطِباً عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، يَخْتِمُ كُلَّ جُمُعَةٍ، وَيَخْتِمُ فِي رَمَضَانَ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَعْتَكِفُ فِي الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَكَانَ كَثِيرَ النَّوَافِلِ وَالْأَذْكَارِ، وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى لِحْظَةٍ تَذْهَبُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ.

وتلا المأمون في رَمَضَانَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ خُتْمَةً. وَكَانَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ فِي رَمَضَانَ سِتِينَ خُتْمَةً. وَكَانَ الْأَسْوَدُ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ وَكَانَ يَنَامُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ سِتِّ لَيَالٍ.

قال الشيخ عبد الله بن حسن بن محمد الكردي: قرأت في رَمَضَانَ ثَلَاثِينَ خُتْمَةً، وَجَعَلْتُ ثَوَابَ عَشْرِ مِنْهَا لِلْحَافِظِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: تَرَى يَصِلُ هَذَا إِلَيْهِ؟ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ عِنْدِي ثَلَاثَةَ أَطْبَاقٍ رَطْبٍ، فَجَاءَ الْحَافِظُ وَأَخَذَ وَاحِدًا مِنْهَا.

وذكر الشيخ الطنطاوي في ذكرياته أنه شهد في أندونيسيا عيداً يقيمه أهاليها ليلة السابع عشر من رمضان، ويسمونه عيد نزول القرآن. يخرج فيه الناس بأهلي الثياب، وينتشرون في ساحات جاكارتا، ويؤمّ الرجال كلهم المصلّي.

هذا مع القرآن، ومن عادات الكرام في رمضان العمرة، فقد جاء في الحديث: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً».

وذكروا عن الفقيه أبو نصر البندنجي أنه كان يعتمر في رمضان ثلاثين عمرة، وهو ضرير يؤخذ بيده.

وذكروا عن غيره أنه كان يعتمر في رمضان ثلاث عُمر في نهاره وثلاث عُمر في ليله.

وأما عن العلم وطلبه وإنشاء مدارس فقد شهد الجامع الأموي بدمشق عشرات السنين ومئاتها  
مجالس رمضان من بعد العصر يقرأ فيها صحيح البخاري.  
وذكروا عن جامع القرويين بفاس الذي أسسته أم البنين السيدة فاطمة بنت محمد القيرواني أنه كان  
الشروع فيه في رمضان سنة 245هـ.

### أيها الإخوة:

هذه بعض عادات الكرام في رمضان فتعالوا نعد العدة ونشد الهمة ونعزم العزم على أن نري الله من  
أنفسنا الخير في رمضان لنكون ممن يباهي الله تعالى بهم ملائكته.

أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من  
شهر رمضان صُفِّدت الشياطين، ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب  
الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار،  
وذلك كل ليلة»

والحمد لله رب العالمين